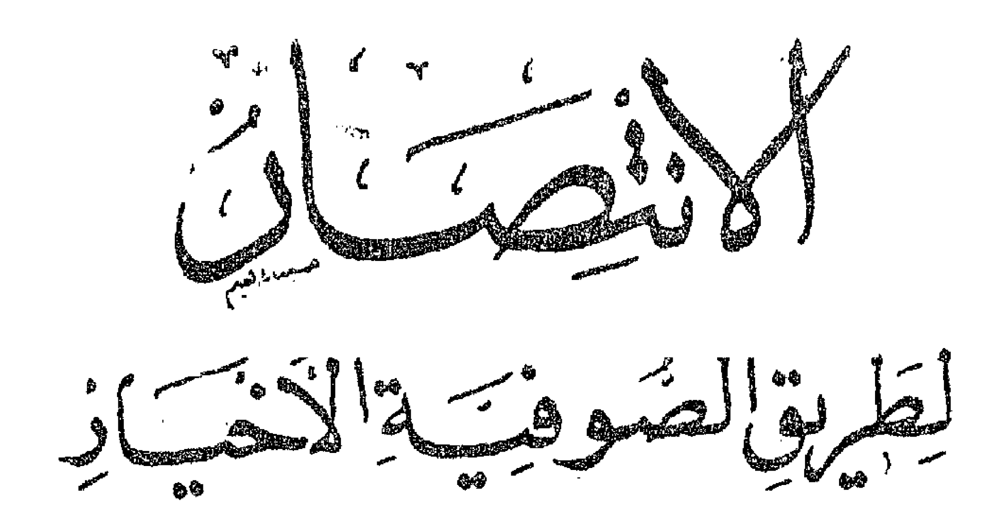
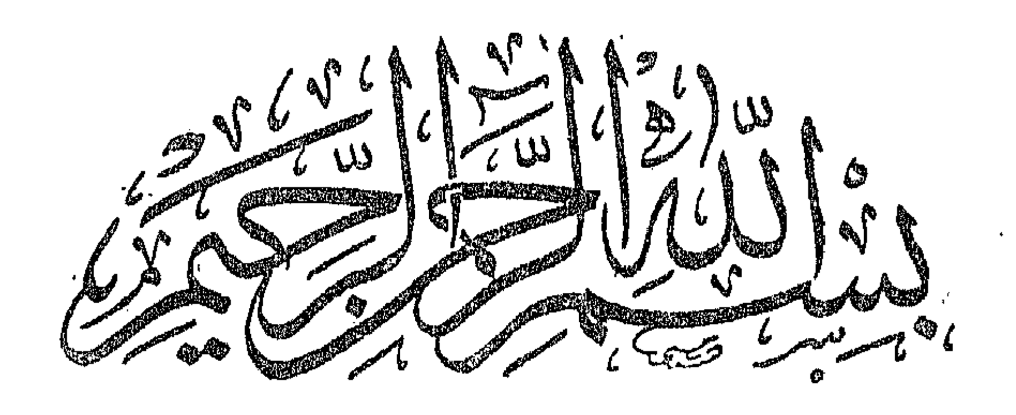


تأليف

الفقير إلى الله تعالى

الزمزمي بن محمد بن الصديق

غفر الله له



الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين (وبعد) فقد وقع السؤال عن خصال يفعلها الصوفية هل لها دليل من الأصول المعتبرة لدى علماء الشريعة المطهرة أم لا دليل لها كما يزعم جهلة هذا العصر العصيب . وقد كنت كتبت قبل هذا فيما يتعلق بخصلة من هذه الخصال المسؤل عنها وبينت دليلها والآن لما وقع السؤال رأيت أن أجمع فى هذه الخصال رسالة أذكر فيها ما وقفت عليه من النصوص والأدلة المتعلقة بهذه الخصال وأبينها بقدر الاستطاعة .

(ليهلك من هلك عن بينة ويحيي من حي عن بينة) .

وسأرتب الرسالة على مقدمة وأحد عشر فصلا وخاتمة

أما المقدمة ففى فضل التصوف . وأما الفصول ففى كل فصل اذكر خصلة من الخصال التى يفعلها الصوفية وأبين دليلها

وأما الخاتمة فاذكر فيها ما ورد فى الابدال.

واسميتها (الانتصار لطريق الصوفية الأخيار).

المقدمة

ان من سبر أحوال سيد الأكوان ﷺ وتأملها . وتدبر أقواله السديدة وتفهمها . لاشك أنه يتضح له فضل التصوف وعظم قدره ومكانته السامية من الدين وعلو شأنه . وذلك لأن التصوف فى الحقيقة مأخوذ من أحواله ﷺ وأقواله . يعلم ذلك من له اطلاع على سنته وأفعاله . ولا ينكره إلا من لا عبرة بكلامه وخلافه .

ولله در الحافظ جلال الدين السيوطى رحمه الله حيث قال فى كتاب له يسمى (تأييد الحقيقة العلية): وقد ظهر لى أن نسبة علم الحقيقة إلى علم الشريعة كنسبة علم المعانى والبيان إلى علم النحو . فهو سره ومبنى عليه — إلى أن قال — والحقيقة سر الشريعة ولبها الخالص كما أن المعانى والبيان سر النحو ولطائفه انتهى . ولقد صدق فيما قال .

وللغزالى فى باب بيان العلم الذى هو فرض كفاية من الاحياء كلام يشبه كلام الجلال السيوطى ويعضده فانه قال : —

أما الاسلام فيتكلم الفقيه فيما يصح منه وفيما يفسد . وفى شروطه وليس يلتفت فيه إلا إلى اللسان . وأما القلب فخارج عن ولاية الفقيه — إلى أن قال : — وأما الصلاة فالفقيه يفتى بالصحة إذا أتى بصورة الأعمال مع ظاهر الشروط . وان كان غافلا فى جميع صلاته من أولها الى آخرها . مشغولا بالتفكر فى حساب معاملته فى السوق . وهذه الصلاة لا تنفع فى الآخرة كما أن

القول باللسان فى الاسلام لاينفع ولكن الفقيه يفتى بالصحة أى إن ما فعله حصل به امتثال صيغة الأمر

فأما الخشوع واحضار القلب الذى هو عمل الآخرة وبه ينفع العمل الظاهر . فلا يتعرض له الفقيه . ولو تعرض له لكان خارجا عن فنه .

فهذا كلام الغزالى يشهد لما قاله الجلال السيوطى .

وان اردت بيان ذلك فنزل الفقه منزلة النحو يتضح لك الحال . فالفقيه يفتى بصحة الصلاة التى لاحضور فيها . كما أن النحوى اذا سئل عن قول الشاعر :

* وليس قرب قبر حرب قبر *

ونحوه من الجمل الركيكة يحكم بصحة الكلام وجودته . وان كان الكلام فاسداً عند علماء البلاغة .

فبهذا المثال يتضح لك وجه المشابهة بين كلام الغزالى والسيوطى وفى قواعد الأحكام لسلطان العلماء عز الدين بن عبدالسلام الشافعى شيخ ابن دقيق العيد كلام مثل كلام السيوطى فانه قال فى صحيفة «٢٠٣» من الجزء الثانى : وليست الحقيقة خارجة عن الشريعة . بل الشريعة طافحة باصلاح القلوب بالمعارف والأحوال والعزوم والنيات .

فمعرفة أحكام الظواهر معرفة لجل الشرع : ومعرفة أحكام البواطن معرفة لدق الشريعة . ولا ينكر شيئا منهما الا كافر أو فاجر وقد يتشبه بالقوم من ليس منهم . انتهى .

فهؤلاء ثلاثة من كبار العلماء يعترفون بفضل علم التصوف ويقرون

بعظم قدره . ويشهدون أنه زبدة الشريعة المطهرة . وما اعترفوا بما اعترفوا به الا لمَّا علموا أصل علم التصوف وشرف منبعه وأنه مأخوذ عن حضرة صاحب الرسالة صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه وجاء فى فتوى لمحي السنة . ومميت البدعة . كهف الضعفاء والمساكين وسيف الله المسلول على الظلمة والجبارين . سيدنا ومولانا الوالد قدس الله روحه . أجاب بها من سأله عن أول من أسس الطريقة وهل تأسيسها بوحى سماوى ؟ رأينا أن نزين بها صدر هذه الرسالة واليك نصها : —

وأما أول من أسس الطريقة وهل تأسيسها بوحى . . . الخ .

فلتعلم أن الطريقة أسسها الوحى السماوى فى جملة ما أسس من الدين المحمدى . إذ هى بلا شك مقام الاحسان الذى هو أحد أركان الدين الثلاثة التى جعلها النبى ﷺ بعد ما بينها واحدا واحدا دينا فقال : هذا جبريل جاء يعلمكم دينكم . فغاية ما تدعوا اليه الطريقة وتشير اليه هو مقام الاحسان . بعد تصحيح الاسلام والايمان ليحرز الداخل فيها والمدعو اليها مقامات الدين الثلاثة الضامنة لمحرزها والقائم بها السعادة الأبدية فى الدنيا والآخرة . والضامنة أيضا لمحرزها كمال الدين . فانه كما فى الحديث عبارة عن الأركان الثلاثة . فمن أخل بمقام الاحسان الذى هو الطريقة . فدينه ناقص بلا شك . لتركه ركنا من أركانه . ولهذا نص المحققون على وجوب الدخول فى الطريقة . وسلوك طريق التصوف وجوبا عينيا واستدلوا على الوجوب بما هو ظاهر عقلا ونقلا . ولسنا

الآن بصدد بيان ذلك .

وقد بين القرآن العظيم من أحوال التصوف والطريقة ما فيه الكفاية فتكلم على المراقبة ، والمحاسبة ، والتوبة ، والأنابة ، والذكر ، والفكر ، والمحبة ، والتوكل ، والرضا ، والتسليم ، والزهد ، والصبر ، والايثار ، والصدق ، والمجاهدة ، ومخالفة الهوى والنفس ، وتكلم على النفس اللوامة ، والامارة ، والمطمئنة ، وعلى الأولياء والصالحين ، والصديقين ، والمؤيدين ، وغير هذا مما يتكلم فيه أهل التصوف والطريقة رضى الله عنهم ، فاعرف وتأمل .

وأما قولك هل لما أسست الطريقة . . . الخ

فجوابه يعلم مما قبله . فانها إذا كانت من الدين — بل هى أشرف أركانه — وكانت بوحى كما قلناه . وكان الصحابة بالحالة التى بلغتنا عنهم تواترا . من المسارعة الى امتثال أمر الله . كانوا بالضرورة أول داخل فيها وعامل بمقتضاها . وذائق لأسرارها وثمراتها ولهذا كانوا على غاية مايكون من الزهد فى الدنيا . والمجاهدة لأنفسهم . ومحبة الله ورسوله . والدار الآخرة . والصبر . والايثار . والرضا . والتسليم وغير ذلك من الاخلاق التى يحبها الله ورسوله . وتوصل الى قربهما . وهى المعبر عنها . بالتصوف والطريقة .

وكما كانوا رضى الله عنهم على هذه الحالة الشريفة . كان اتباعهم أيضا عليها وإن كانوا دونهم فيها . وكذلك كان اتباع الاتباع . وهلم جرا إلى أن ظهرت البدع . وتأخرت الأعمال . وتنافس الناس فى الدنيا

وحييت النفوس بعد موتها . فتأخرت بذلك أنوار القلوب . ووقع ماوقع في الدين . وكادت الحقائق تنقلب وكان ابتداء ذلك في أواخر المائة الأولى من الهجرة . ولم يزل ذلك يزيد سنة بعد سنة الى أن وصل ذلك إلى حالة تخوف منها السلف الصالح على الدين . فانتدب عند ذلك العلماء لحفظ هذا الدين الشريف . فقامت طائفة منهم بحفظ مقام الاسلام وضبط فروعه وقواعده . وقامت أخرى بحفظ مقام الايمان وضبط أصوله وقواعده على ما كان عند سلفهم الصالح . وقامت أخرى بحفظ مقام الاحسان وضبط أعماله وأحواله

فكان من الطائفة الأولى الأئمة الأربعة وأتباعهم رضى الله عنهم .

وكان من الطائفة الثانية الأشعري وأشياخه وأصحابه

وكان من الثالثة الجنيد وأشياخه وأصحابه

فعلى هذا ليس الجنيد هو المؤسس للطريقة لما ذكرناه من أنها بوحى إلهى . وإنما نسبت اليه لتصديه لحفظ قواعدها وأصولها ودعائه للعمل بذلك عند ما ظهر التأخر عنها

ولهذا السبب نفسه نسبت العقائد للأشعرى . والفقه للأئمة الأربعة . مع أن الجميع بوحى من الله تعالى . اه

وسنذكر ما ورد من الأحاديث فى علم الصوفية وأفعالهم على سبيل الاجمال والاختصار ، وأما البسط فلا يليق بهذه الرسالة . إذ الأحاديث المتعلقة بطريق الصوفية كثيرة وقد انتخبت منها مايليق بهذه الرسالة اللطيفة .

وسأذكرها أولا على نسق واحد ، ثم بعد ذلك أبين ما فيها من الدلالة لمذهب الصوفية رضى الله عنهم وحشرنا فى زمرتهم بجاه سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم تسليما كثيراً والحمد لله رب العالمين .

الحديث الاول

أخرج البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : أن الله تعالى قال: من عادى لى وليا . فقد آذنته ، وما تقرب إلى عبدى بشىء أحب إلىَّ مما افترضته عليه ، ولا يزال عبدى يتقرب الىَّ بالنوافل حتى أحبه ، فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، وان سألنى لاعطينه ، ولئن استعاذنى لأعيذنه

الحديث الثانى

أخرج أبو نعيم فى الحلية من طريق طاووس عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ : يقول الله تعالى إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتى ، ولم يتعاظم على خلقى وكف نفسه عن الشهوات ابتغاء مرضاتى ، فقطع نهاره فى ذكرى ولم يبت مصرا على خطيئة ، يطعم الجائع ، ويكسو العارى ، ويرحم الضعيف ويؤوى الغريب ، فذاك الذى يضىء وجهه كما يضىء نور الشمس ، يدعونى فألبى ، ويسألنى فاعطى .

ويقسم على فأبر قسمه ، أجعل له فى الجهالة علما ، وفى الظلمة نوراً أكلأه بقوتى واستحفظه ملائكتى .

الحديث الثالث

أخرج البزاز والبيهقى فى الشعب ، عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ لقى رجلا يقال له حارثة فقال كيف أصبحت ياحارثة ، قال أصبحت مؤمنا حقا . فقال ان لكل قول حقيقة ، فما حقيقة إيمانك فقال عزفت نفسى عن الدنيا فاسهرت ليلى ، وأظمأت نهارى ، وكأنى أنظر إلى عرش ربى ، وكأنى أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها . وكأنى أسمع عواء أهل النار . فقال عرفت فالزم

الحديث الرابع

أخرج الترمذى وحسنه عن شداد بن أوس رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : الكيس من دان نفسه . وعمل لما بعد الموت . والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله . (الكيس) : العاقل ومعنى (دان نفسه) : حاسبها .

الحديث الخامس

أخرج أبو الشيخ ابن حيان . والبيهقى عن عمران بن الحصين رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : من انقطع إلى الله عز وجل كفاه كل مؤنة ، ورزقه من حيث لايحتسب . ومن انقطع إلى الدنيا وكله الله اليها .

الحديث السادس

أخرج الشيخان عن أبى هريرة فى حديث سؤال جبريل عن الاحسان قال رسول الله ﷺ : الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه .فان لم تكن تراه فانه يراك

الحديث السابع

أخرج البخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت : أول ما بدىء به رسول الله ﷺ من الوحى الرؤيا الصالحة . ثم حبب اليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء . فيتحنث فيه (وهو التعبد الليالى ذوات المدد) ويتزود لذلك

الحديث الثامن

أخرج الشيخان عن أبى بن كعب رضى الله عنه عن النبى ﷺ أن موسى قال للخضر (هل أتبعك على أن تعلمنى مما علمت رشداً . قال إنك لن تستطيع معى صبرا) ياموسى إنى على علم من علم الله علمنيه لا ينبغى لك أن تعلمه . وأنت على علم علمك الله لا ينبغى لى أن أعلمه

الحديث التاسع

أخرج الحاكم وصححه وأقر عن أبى هريرة مرفوعا أحبوا الفقراء وجالسوهم

الحديث العاشر

أخرج الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : ماشبع آل محمد

ﷺ من طعام ثلاثة أيام تباعا حتى قبض

وأخرج أحمد . وابن حبان فى صحيحه عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ دخل عليه عمر وهو على حصير قد أثر فى جنبه فقال يارسول الله لو اتخذت فراشا أوثر من هـذا فقال مالى وللدنيا . مامثلى ومثل الدنيا إلا كراكب سار فى يوم صائف فاستظل تحت شجرة ساعة ثم راح وتركها .

* * *

ولو أردنا جميع مايتعلق بطريق الصوفية لطال الكتاب وخرجنا عن الموضوع الذى نحن بصدد الكتابة فيه . فلنكتف بما أوردناه وفيه كفاية إن شاء الله

والآن نفى بما وعدنا به فيما تقدم من بيان مافى هـذه الأحاديث من الدلالة لمذهب الصوفية فنقول : —

أما الحديث الاول

ففيه بيان مبدأ طريق الصوفية ونهايته . وذلك لأن الصوفية يبدؤن بالمجاهدة ولا يزالون يجاهدون أنفسهم ويجتهدون فى تطهير قلوبهم من كل مايباعد عن الله . وتزيينها بكل مايقرب اليه من الأحوال والأقوال والأعمال ولزوم الاقبال والمثول بين يديه فى كل وقت من الأوقات . وحال من الأحوال على حسب الامكان حتى يصلوا إلى مقام الفناء والواصل إلى مقام الفناء هو المحبوب الملحوظ والمربوب المحفوظ . كما قال

فى آخر الحديث : فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به . الحديث .

وأما الحديث الثانى

ففيه تنويه عظيم بقدر الصوفية . وذلك لأن الخصال التى ذكرت فيه كلها من الاخلاق التى يتخلق بها الصوفية ويحثون على التخلق بها ومن أراد أن يتحقق بما قلناه فليراجع أصغر كتاب من كتبهم

وأما الحديث الثالث

ففيه مافى الحديث الأول من بيان مبدإ طريق الصوفية ونهايته فان حارثة رضى الله عنه أخبر أنه جاهد نفسه بالقيام والصيام والتجافى عن دار الغرور حتى من الله عليه بالوصول إلى عين اليقين والدليل عندنا فى حثه عليه الصلاة والسلام له على لزوم ما أخبر أنه يجاهد به نفسه من الصيام والقيام والزهد فى الدنيا . وهذه أخلاق الصوفية رضى الله عنهم .

وأما الحديث الرابع

ففيه التنويه بقدر كل صوفى صادق . وذلك لأن من أخلاق الصوفية محاسبة النفس : وتعميد كل وقت بما يليق به كما نقل الحافظ فى (تأييد الحقيقة العلية) عن الشافعى رضى الله عنه أنه قال صحبت الصوفية فلم استفد منهم سوى حرفين . وفى رواية سوى ثلاث كلمات قولهم : الوقت سيف إن لم تقطعه قطعك . وقولهم : نفسك إن لم تشغلها

بالحق شغلتك بالباطن . وقولهم العدم عصمة فقولهم نفسك إن لم تشغلها بالحق . هو فى معنى قوله عليه الصلاة والسلام : الكيس من دان نفسه . لان من حاسب نفسه لا يترك لها سبيلا إلى الاشتغال بالباطل . اذ هو يشغلها بالمحاسبة عن الباطل

وقولهم : الوقت سيف . يشبه آخر الحديث وهو قوله عليه الصلاة والسلام : وعمل لما بعد الموت . اذ الذى يعمل للموت لا يقطعه الوقت بل هو الذى يقطع الوقت

وأما الحديث الخامس

ففيه الحث على التخلق باخلاق الصوفية ، اذ هم المنقطعون إلى ربهم المستوحشون من جنسهم المتخلقون باخلاق نبيهم ﷺ

وأما الحديث السادس

فقال الهروى فى منازل السائرين فيه اشارة جامعة لمذهب هذه الطائفة ، قال شارحه : لأن أصل هذه الطريقة الخاصة كمال المعرفة ، ودوام المراقبة للحق سبحانه فى الحركات والسكنات

وأما الحديث السابع

ففيه دليل لما يفعلونه من الخلوة والعزلة والانقطاع عن الخلق فى الزوايا والمساجد

قال بن أبى جمرة فى شرحه : فى الحديث دليل على أن الخلوة عون

للانسان على تعبده وصلاح دينه . لأن النبي ﷺ لما اعتزل عن الناس وخلا بنفسه ، أتاه هذا الخير العظيم ، وكل أحد امتثل ذلك أتاه الخير بحسب ماقسم الله له من مقامات الولاية انتهى

قال القسطلانى : فان قلت أمر الغار قبل الرسالة فلا حكم ، أجيب: بأنه أول ما بدىء به عليه الصلاة والسلام من الوحى الرؤيا الصالحة ، ثم حبب اليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء كما مر ، فدل على أن الخلوة حكم مرتب على الوحى ، لأن كلمة ثم للترتيب

وأيضا لو لم تكن من الدين لنهى عنها ، بل هى ذريعة لمجىء الحق وظهوره مبارك عليه وعلى أمته تأسيا وسلامة من المناكير وضررها . اه

وأما الحديث الثامن

ففيه اثبات علم الحقيقة الخاص بهذه الطائفة،قال الشيخ سراج الدين البلقينى فى هذا الحديث : هذا قد يشكل ، فان العلم المذكور فى الجهتين كيف لا ينبغى علمه قال وجواب هذا الاشكال ، أن علم الحقائق والكشوف ينافى علم الظاهر ، فلا ينبغى للعالم الحاكم بالظاهر الذى هو مكلف به أن يعلم الحقائق للتنافى ، ولا ينبغى للعالم بالحقيقة أن يعلم علم الظاهر الذى ليس مكلفا به الذى ينافى ماعنده من الحقيقة

قال ويمكن حمل العلم على تنفيذه والمعنى لاينبغى لك أن تعلمه لتعمل به . لأن العمل به مناف لمقتضى الشرع . ولا ينبغى لى أن أعلمه فأعمل بمقتضاه . لأنه مناف لمقتضى الحقيقة.

قال : فعلى هذا لا يجوز للولى التابع للنبى صلى الله عليه وسلم اذا اطلع على حقيقة أن ينفذ ذلك بمقتضى الحقيقة . وإنما عليه أن ينفذ الحكم الظاهر انتهى .

والتأويل الثانى أولى وأحسن من الأول .

وأما الحديث التاسع

ففيه الحث على محبة الصوفية ومجالستهم . إذ الفقير الكامل هو الصوفى الصادق ، لان الصوفى الصادق يتلذذ بفقره ويشهد فيه المنةلربه ويحمده عليه كما يحمده الغير على الغنى ،

لاجرم أن مجالسة من هذه صفته ينتفع بها المسلم فى دينه ، وبها يكون راضيا عن أحكام ربه

ومن أراد أن يقف على ماذكرناه فليراجع كتب الصوفية

وأما الحديث العاشر

ففيه دليل لما يفعلونه من تقليل الطعام والتقشف فيه

وفى الحديث الذى بعده دليل لهم فى تقشفهم فى اللباس والفروش وغيرهما من زينة الدنيا

ومن هذين الحديثين يعلم بطلان ماسطره ابن الجوزى فى كتابه المسمى (تلبيس ابليس) من الاعتراض على الصوفية فى التقشف

ولسلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام الشافعى كلام جميل فى تفضيل علماء الباطن على علماء الظاهر لابأس أن نعقب به هذه الأحاديث

الشريفة النافعة إن شاء الله

والكلام الذى سأذكره وقع فى جواب سؤال سئل عنه وهو : —

هل الولى أفضل أم العالم ؟

فأجاب بجواب طويل وسأقتصر منه على مايأتى ، قال : —

وأما قوله تعالى (إنما يخشى الله من عباده العلماء) فانما أراد العارفين به وبصفاته وأفعاله دون العارفين باحكامه فلا يجوز حمل ذلك على علماء الأحكام ، لأن الغالب عليهم عدم الخشية ، وخبر الله صدق فلا يحمل إلا على من عرفه وخشيه

وقد روى هذا عن ابن عباس رضى الله عنهما وهو ترجمان القرآن

الى أن قال : ومما يدل على فضلهم على الفقهاء مايجريه الله تعالى عليهم من الكرامات الخارقة للعادات ، ولا يجرى شيء من ذلك على يد الفقهاء إلا أن يسلكوا طريق العارفين ، ويتصفوا بأوصافهم انتهى المراد منه

ونرى من اللائق بهذه المقدمة أن نختمها بذكر ماقاله المؤرخون عن التصوف وتاريخه فنقول : —

قال أبو القاسم القشيرى فى أول الرسالة : اعلموا رحمكم الله ان المسلمين بعد رسول الله ﷺ لم يتسم أفاضلهم فى عصرهم بتسمية علم سوى صحبة رسول الله ﷺ إذ لا فضيلة فوقها فقيل لهم الصحابة : ولما أدركهم أهل العصر الثانى سمى من صحب الصحابة التابعين ، ورأوا ذلك أشرف سمة

ثم قيل لمن بعدهم اتباع التابعين، ثم اختلف الناس وتباينت المراتب فقيل لخواص الناس ممن لهم شدة عناية بأمر الدين الزهاد والعباد، ثم ظهرت البدع وحصل التداعى بين الفرق ، فكل فريق ادعى أن فيهم زهادا ، فانفرد خواص أهل السنة المراعون أنفاسهم مع الله تعالى ، الحافظون قلوبهم من طوارق الغفلة باسم التصوف واشتهر هذا الاسم لهؤلاء الاكابر قبل المائتين من الهجرة . اه

ويظهر من كلام ابن خلدون فى المقدمة أنه يقول بقول القشيرى فى تاريخ ظهور اسم التصوف . فانه قال بعد ماترجم لعلم التصوف :

وهذا العلم من العلوم الشرعية الحادثة فى الملة . وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الامة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريقة الحق والهداية . وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع الى الله تعالى والاعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه : والانفراد عن الخلق فى الخلوة للعبادة .

وكان ذلك عاما فى الصحابة والسلف ، فلما فشا الاقبال على الدنيا فى القرن الثانى وما بعده وجنح الناس الى مخالطة الدنيا اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة .

وقال القشيرى ولا يشهد لهذا الاسم اشتقاق من جهة العربية ولا قياس ، والظاهر أنه لقب . ومن قال اشتقاقه من الصفاء أو من الصفة فبعيد من جهة القياس اللغوى

قال وكذلك من الصوف ، لأنهم لم يختصوا بلبسه اه

ويعضد ماذكره القشيرى وابن خلدون فى تاريخ ظهور اسم التصوف ماذكره الكندى وكان من أهل القرن الرابع فى كتاب (ولاة مصر) فى حوادث سنة مائتين : انه ظهر بالاسكندرية طائفة يسمون بالصوفية يأمرون بالمعروف اه

وكذلك ماذكره المسعودى فى مروج الذهب حاكيا عن يحي بن أكثم قال ان المأمون يوما لجالس اذ دخل عليه على بن صالح الحاجب فقال يا أمير المؤمنين رجل واقف بالباب عليه ثياب بيض غلاظ يطلب الدخول للمناظرة ، فعلمت انه بعض الصوفية

فهاتان الحكايتان تشهدان لكلام القشيرى وابن خلدون

وذكر فى كشف الظنون : ان أول من سمى بالصوفى أبو هاشم الصوفى المتوفى سنة خمسين ومائة

ثم بحثت فى محاضرة الاوائل لعلاء الدين البسنوى فوجدته عزا ماذكره صاحب كشف الظنون لأوائل السيوطى

والآن نمسك عن الخوض فى هذا المقام ونشرع فيما نحن بصدد الكتابة فيه فنقول : —

الفصل الاول

(فى بيان دليل الصوفية فيما يفعلونه من المواظبة على الورد صباحا ومساء)

الورد بالكسر كما فى المصباح الوظيفة من قراءة ونحو ذلك والجمع أوراد ، ويطلقه الصوفية على أذكار يأمر الشيخ تلميذه بذكرها صباحا ومساء

وطريقتهم فى ذلك طريقة المحدثين فى رواية الحديث مسلسلا بشيخ عن شيخ الى النبي ﷺ ، وورد الطريقة الشاذلية التى هى لب الطرق الاتصالية وأفضلها كما قاله الحافظ السيوطى فى تأييد الحقيقة العلية مائة من الاستغفار ، ومائة من الصلاة على النبي ﷺ ، ومائة من قول لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير

وقد وردت الاحاديث عن النبي ﷺ فى فضل هذا الورد والترغيب فيه . فقد أخرج مسلم عن أبى ذر رضى الله عنه عن النبي ﷺ انه قال : يقول الله عز وجل يابنى آدم كلكم مذنب إلا من عافيت فاستغفرونى أغفر لكم . الحديث وأخرج ابن ماجه باسناد صحيح . والبيهقى عن عبد الله بن بسر رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول طوبى لمن وجد فى صحيفته استغفار كثير .

وأخرج مسلم عن الاغر بن يسار المزنى رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : وانى لأستغفر الله فى اليوم مائة مرة

وأخرج البزار عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ مامن حافظين يرفعان الى الله فى كل يوم صحيفة فيرى فى أول الصحيفة وفى آخرها استغفار إلا قال الله تبارك وتعالى قد غفرت لعبدى مابين طرفى هذه الصحيفة .

وأخرج مسلم ، وأبو داود ، والنسائى ، والترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ من صلى على صلاة واحدة صلى الله عليه عشراً

وأخرج الطبرانى فى الاوسط عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ من صلى على صلاة واحدة صلى الله عليه عشرا . ومن صلى على عشرا صلى الله عليه مائة . ومن صلى على مائة كتب الله بين عينيه براءة من النفاق وبراءة من النار وأسكنه الله يوم القيامة مع الشهداء

وأخرج ابن أبى عاصم باسناد ضعيف عن أبى كهل رضى الله عنه قال قال لى رسول الله ﷺ يا أبا كهل من صلى على كل يوم ثلاث مرات وكل ليلة ثلاث مرات حبا أو شوقا الى كان حقا على الله أن يغفر له ذنوبه تلك الليلة وذلك اليوم ،

وأخرج الشيخان وأصحاب السنن عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ من قال لا اله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير فى يوم مائة مرة . كانت له عدل عشرة رقاب . وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة ، وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى ولم يأت أحد بافضل مما جاء به الا أحد عمل أكثر من ذلك

الفصل الثانى

فى بيان دليلهم فيما يفعلونه من الاجتماع على الذكر بعد صلاة الصبح الى طلوع الشمس وفيما بين العشاءين

والذكر فى هذين الوقتين يسمونه الوظيفة ، ووجه التسمية ظاهر أخرج مسلم وغيره عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله

ﷺ : لا يقعد قوم يذكرون الله تعالى الا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فى من عنده

وأخرج الترمذى وحسنه عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا . قالوا يارسول الله وما رياض الجنة . قال حلق الذكر

وأخرج الترمذى وحسنه عن أنس أيضا قال قال رسول الله ﷺ من صلى الفجر فى جماعة ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة تامة ورواه الطبرانى بلفظ : انقلب بأجر حجة وعمرة

واسناد الطبرانى جيد . كما قاله المنذرى .

ورواه أحمد . وابن جرير وصححه من حديث على صلوات الله عليه وأما الذكر فيما بين العشاءين . فيستدل له بما أخرجه الديلمى فى مسند الفردوس عن ثوبان رضى الله عنه مرفوعا من عكف نفسه مابين المغرب والعشاء فى مسجد جماعة لم يتكلم إلا بصلاة أو قراءة كان حقا على الله أن يبنى له قصرين فى الجنة مسيرة كل منهما مائة عام ويغرس له بينهما غراسا لوطافه أهل الدنيا لوسعهم وهذا الحديث أورده الغزالى فى الأحياء : وقال العراقى فى تخريجه لم أجد له أصلا من هذا الوجه . لكن نقل السيد مرتضى الزبيدى عن الحافظ ابن حجر أن الديلمى أسنده .

والحديث وإن كان ضعيفا فانه يصلح فى هذا المقام كما يعلم من كتب الاصول

ولنا دليل آخر وهو أن ما بين العشاءين وقت الغفلة كما نقل صاحب القوت عن الأسود بن يزيد النخعى قال ما أتيت ابن مسعود فى هذا الوقت (يعنى بين العشاءين) إلا ورأيته يصلى . فسألته فقال نعم هى ساعة الغفلة .

قال السيد مرتضى فى شرح الاحياء ولهذا تسمى هذه الصلاة صلاة الغفلة لاشتغال الناس عن هذه الساعة .

وقال فى موضع آخر من الشرح : لأن النفس تركن فى هذا الوقت إلى الدعة والاستراحة خصوصا إذا كان ذا كسب وحرفة أو الى الاشتغال بالاكل والشرب . انتهى .

وإذا كان الأمر كما ذكرنا والحال على ما وصفنا . فالاشتغال بالذكر فى هذا الوقت من أفضل الأعمال . لما رواه البزار عن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ذاكر الله فى الغافلين بمنزلة الصابر فى الفارين .

الفصل الثالث

فى بيان دليلهم فيما يفعلونه من الاجتماع على الذكر عشية يوم الجمعة

أخرج الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ ذكر يوم الجمعة . فقال فيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلى يسأل الله شيئا إلا أعطاه .

وأخرج أبو داود . والحاكم وصححه واقر عن جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ يوم الجمعة اثنتا عشرة ساعة . وفيه : فالتمسوها آخر ساعة بعد العصر

ونقل المنذرى فى الترغيب عن الامام أحمد أنه قال : أكثر الحديث فى الساعة التى ترجى فيها اجابة الدعوة انها بعد صلاة العصر اه

فالصوفية يجتمعون على الذكر عشية يوم الجمعة عملا بهذا الحديث وغيره من الاحاديث الواردة فى أن الساعة التى ترجى فيها اجابة الدعوة يوم الجمعة بعد العصر .

وانما اختاروا الذكر على الدعاء لما أخرجه الدارمى . والترمذى وحسنه والبيهقى فى الشعب عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ يقول الرب تبارك وتعالى من شغله قراءة القرآن وذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين ومما يفعلونه عشية هذا اليوم بعد الفراغ من الذكر ، الدعاء ومسح الوجه باليدين بعده ثم المصافحة .

أما مسح الوجه باليدين بعد الدعاء . فدليله ما أخرجه الترمذى عن عمر رضى الله عنه . قال كان رسول الله ﷺ اذا رفع يديه فى الدعاء لم يحطهما حتى يمسح بهما وجهه .

وأما المصافحة ، فدليلها ما أخرجه الشيخان عن كعب بن مالك فى قصة توبته . قال وانطلقت أتأمم رسول الله ﷺ حتى دخلت المسجد

فاذا رسول الله ﷺ حوله الناس فقام طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني، وهنأني الحديث

وأخرج أحمد، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجة، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال كنت في سرية من سرايا النبي ﷺ فحاص الناس حيصة، فكنت فيمن حاص فقلنا كيف نصنع وقد فررنا من الزحف وبؤنا بالغضب. ثم قلنا لو عرضنا أنفسنا على رسول الله ﷺ فان كانت لنا توبة. والا ذهبنا فأتيناه صلاة الغداة، فخرج، فقال من القوم. فقلنا نحن الفرارون، فقال بل أنتم العكارون انا فئتكم وانا فئة المسلمين قال فاتيناه حتى قبلنا يده

وأخرج أحمد والبخاري في الادب المفرد عن ابن جدعان قال قال ثابت لانس أمسست بيدك النبي ﷺ، قال نعم. فقبلها

فهذه الاحاديث تدل على جواز المصافحة والتقبيل خلافا لمن أنكرهما

﴿ تنبيه ﴾ من عادة بعض الصوفية أن يجتمعوا على الذكر بعد صلاة الجمعة، وهم في ذلك آخذون بقول من يقول ترجى ساعة الاجابة في ذلك الوقت، فقد وقع الخلاف في ساعة الاجابة يوم الجمعة على نحو أربعين قولا، وأرجحها انها بعد العصر الى الغروب، والله أعلم



الفصل الرابع

فى بيان دليلهم فيما يفعلونه من الرقص والذكر فى المآدب والولائم وعقب الأكل

أخرج الشيخان وأصحاب السنن عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه اذا ذكرنى ، فان ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى وان ذكرنى فى ملإٍ ذكرته فى ملإٍ خير منهم

وأخرج أحمد . وأبو يعلى . وابن حبان فى صحيحه . والحاكم وصححه وأقر عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون .

فى هذين الحديثين دليل على استحباب خصلتين من خصال الصوفية أما الأولى فهى الجهر بالذكر فى الجماعة.

وقد دل على استحباب هذه الخصلة الحديث الأول. فان فيه الاخبار بأن من ذكر الله فى ملإ ذكره الله فى ملإٍ خير منهم وهو الملأ الأعلى كما جاء مفسرا فى رواية أخرجها الطبرانى باسناد حسن عن معاذ بن أنس.

وأما الخصلة الثانية فهى الرقص : ويدل على استحبابها الحديث الثانى وبيان ذلك أنه عليه الصلاة والسلام آمر فيه بأمر وجعل له غاية أمر فيه بالاكثار من ذكر الله . وجعل الغاية قول الناس فى الذاكر انه مجنون .

ولا يخفى أنه لا يقال فى الذاكر انه مجنون بمجرد قوله الله الله الله مثلا . لان ذلك أمر عادى للمسلمين . وانما يقال فيه مجنون اذا ذكر الله كثيرا حتى صدر منه أمر غير عادى . كتحريك الرأس . أو الجسد . فعند ذلك يقال فيه مجنون . واذا قيل فيه ذلك كان قد وصل الى الغاية المطلوبة فى الحديث

فتبين بهذا أن مايفعله الصوفية مستحب بنص الحديث . ولا يمكن لعالم أن يقول بتحريم رقص الصوفية . فانه لاخلاف بين جمهور الاصوليين والفقهاء أن الاصل فى الاشياء الاباحة . فلو فرضنا أن رقص الصوفية لم يرد فيه نص لا بالتحليل ولا بالاستحباب لكان مباحا . إذ الاصل فى الاشياء الاباحة . لا يقال انه حرام لأنه بدعة . فاننا نقول ليست كل بدعة محرمة . لان العلماء قسموا البدعة إلى محرمة ومكروهة ومستحبة وواجبة . أنظر قواعد الاحكام لعز الدين ابن عبد السلام . وشرح مسلم للنووى . وشرح البخارى للحافظ

وقد مثلوا للبدعة الواجبة بتدريس العلم وكتابة الكتب الدينية وللبدعة المستحبة بصلاة الرغائب فى رمضان . وبناء المدارس لطلبة العلم على أنا اذا حققنا وجدنا الرقص ليس من البدع فى شيء . وذلك لما تقدم من دلالة الحديث السابق عليه . فهو كالفضائل التى استحبها الأئمة بطريق الاستنباط .

وقد أفتى شيخ الاسلام سراج الدين البلقينى الشافعى باباحة رقص الصوفية ، وتبعه الحافظ السيوطى فى فتوى ذكرها فى

الحاوى . وفيها ذكر ان عز الدين ابن عبد السلام الشافعى كان يرقص مع الصوفية .

ونقل فى كتابه (حسن المقصد فى عمل المولد) عن سبط ابن الجوزى انه قال فى مرآة الزمان حكى من حضر سماط الملك المظفر فى بعض المواليد انه عد فى ذلك السماط خمسة آلاف رأس غنم مشوى — الى أن قال : وكان يحضر عنده فى المولد أعيان العلماء والصوفية . فيخلع عليهم . ويعمل للصوفية سماعا من الظهر الى الفجر ويرقص بنفسه معهم اه

وقد ذكر ابن خلكان فى ترجمة الملك المظفر مثل ماذكره فى مرآة الزمان فانه قال عند ذكره احتفاله بالمولد النبوى : —

وكانت القباب منصوبة من باب القلعة الى باب الخانقاه المجاورة للميدان . فكان مظفر الدين ينزل كل يوم بعد صلاة العصر ويقف على قبة قبة الى آخرها . قال : ويبيت فى الخانقاه ويعمل السماع فيها .

وقال فى موضع آخر من الترجمة : وبنى مدرسة ورتب فيها فقهاء الفريقين من الشافعية والحنفية وكان كل وقت يأتيها بنفسه ويعمل السماط بها ويعمل السماع . وإذا طاب خلع شيئا من ثيابه قال : ولم يكن له لذة سوى السماع . فانه كان لا يتعاطى المنكر . ولا يمكن ادخاله البلد . وبنى للصوفية خانقاهين فيهما خلق كثير من المقيمين والواردين . إلى أن قال —

وكان ينزل بنفسه اليهم . ويعمل عندهم السماعات فى كثير من الاوقات اهـ

فانظر الى ما كان يفعله هذا الملك الفاضل بحضر أعيان العلماء من

المذاهب المتبعة . وما أنكر عليه أحد منهم . وهذا ابن خلكان يشهد له بأنه كان لا يتعاطى المنكر ولا يمكن من ادخاله الى البلد

وبما أوردناه وحكيناه نزداد قولنا قوة على قوة

ورأيت أبا الحسن الششترى استدل للرقص فى رسالة له فى التصوف بحديث عائشة الذى أخرجه مسلم ان الحبشة لعبوا يوم عيد فى المسجد ورسول الله ﷺ ينظر اليهم .

واستدل الحافظ السيوطى برقص جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه بين يدى النبى ﷺ لما قال له أشبهت خلقى وخلقى ولم ينكر عليه ثم بعد كتابة هذا وجدت أثرا يدل على أن الصحابة كانوا يرقصون اذا ذكروا قال ابن أبى الدنيا حدثنا على بن الجعد انا عمرو بن شمر حدثنى اسماعيل السدى سمعت أبا أراكة يقول صليت مع على صلاة الفجر فلما انفتل عن يمينه مكث كأن عليه كآبة حتى اذا كانت الشمس على حائط المسجد قيد رمح صلى ركعتين ثم قلب يده فقال والله لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ فما أرى اليوم شيئا يشبههم لقد كانوا يصبحون حضراً شعثا غبرا بين أعينهم كأمثال ركب المعزى قد باتوا لله سجدا وقياما يتلون كتاب الله يتراوحون بين جباههم وأقدامهم فاذا أصبحوا فذكروا الله مادوا كما يميد الشجر فى يوم الريح وهملت أعينهم حتى تنبل ثيابهم فانظر قوله مادوا كما يميد الشجر فى يوم الريح تجده صريحا فى الرقص وبذلك يبطل قول من يدعى إنه بدعة محرمة والله أعلم

وأما الذكر فى المآدب والولائم . فدليله ما أخرجه أبو داود

والحاكم وصححه وأقر عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ مامن قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله فيه إلا قاموا عن مثل جيفة حمار . وكان عليهم حسرة يوم القيامة

فلهذا الحديث تجد الصوفية يذكرون الله فى المآدب والولائم .

وأما الذكر عقب الاكل . فدليله ماأخرجه الطبرانى فى الاوسط وابن السنى فى عمل اليوم والليلة من حديث عائشة مرفوعا : أذيبوا طعامكم بذكر الله والصلاة ولا تناموا عليه فتقسو قلوبكم . ومما يليق ذكره فى هذا الفصل دليل مايفعلونه من انشاد الاشعار مع الذكر بالانغام والاصوات الحسنة . والشعر كما قال الشافعى رحمه الله كلام حسنه حسن ، وقبيحه قبيح .

وإذا كان كذلك فما ينشده الصوفية من الشعر مع الذكر حسن مرضى . لأنهم لاينشدون إلا الأشعار المشوقة الى الله تعالى ، أو المتعلقة بمدح سيد الاكوان ﷺ قال الغزالى فى الاحياء فى باب السماع : —

الدرجة الثالثة الموزون والمفهوم وهو الشعر وذلك لا يخرج إلا من حنجرة الانسان . فيقطع باباحة ذلك ، لأنه مازاد إلا كونه مفهوما . والكلام المفهوم غير حرام. والصوت الطيب الموزون غير حرام . فاذا لم يحرم الآحاد فمن أين يحرم المجموع . نعم ينظر فيما يفهم منه . فان كان فيه أمر محظور ، حرم نثره ونظمه ، وحرم النطق به ، سواء كان بألحان أو لم يكن

إلى أن قال : ومهما جاز انشاد الشعر بغير صوت وألحان جاز انشاده مع الألحان . فان أفراد المباحات إذا اجتمعت كان ذلك المجموع مباحا .

الى أن قال : وكيف ينكر انشاد الشعر وقد أنشد بين يدى رسول الله ﷺ

ثم أورد ماأخرجه البخارى من حديث أبى بن كعب رضى الله عنه مرفوعا إن من الشعر لحكمة .

وما أخرجه الشيخان عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ كان ينقل اللبن مع القوم فى بناء المسجد وهم يرتجزون ويقولون

اللهم لاعيش إلا عيش الآخرة　　فانصر الأنصار والمهاجرة

وماأخرجه الشيخان من حديثه أيضا أن أنجشة كان يحدو بالنساء فى السفر

ثم قال : ولم يزل الحداء وراء الجمال من عادة العرب فى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وزمان الصحابة رضى الله عنهم . وما هو إلا اشعار تؤدى بأصوات طيبة وألحان موزونة . ولم ينقل عن أحد من الصحابة انكاره .

وقال فى باب آثار السماع وآدابه : واعلم أيضا أن الوجد ينقسم الى هاجم . ومتكلف ويسمى التواجد . وهذا التواجد منه مذموم وهو الذى يقصد به الرياء واظهار الأحوال الشريفة مع الافلاس منها . ومنه ماهو محمود وهو التوصل إلى استدعاء الأحوال الشريفة واكتسابها بالحيلة .

فان للكسب مدخلا فى جلب الاحوال الشريفة ولذلك أمر رسول الله ﷺ من لم يحضره البكاء عند قراءة القرآن أن يتباكى

قال العراقى فى هذا الحديث : أخرجه ابن ماجه باسناد جيد من

حديث سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه . ولفظه : اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا

قال الغزالى : فكذلك الاحوال الشريفة لا ينبغى أن يقع اليأس منها عند فقدها بل ينبغى أن يتكلف اجتلابها بالسماع وغيره . انتهى المراد منه .

فيما ذكرناه يتضح جواز ماينشده الصوفية من الاشعار مع الذكر بالاصوات والانغام . لأننا بينا أنهم ينشدون أشعاراً مشوقة إلى الله والى رسوله ﷺ

وأما الذكر بالانغام . فدليله ظاهر مما تقدم . لانه اذا كان الصوت الموزون غير حرام . والذكر كذلك : فمن أين يحرم المجموع اذا كانت الافراد مباحة : خصوصا وأن الذكر بالانغام يسهل على النفس الاكثار منه بلا سآمة ولا مشقة .فالانغام مع الذكر وسيلة الى خصلتين محبوبتين وذلك لأن الاكثار من الذكر محبوب كما أن حمل النفس على ما تطيقه من الاعمال محبوب كما ثبت في الصحيح عن عائشة رضى الله عنها مرفوعا: عليكم بما تطيقون فوالله لا يمل الله حتى تملوا ، واذا كان كذلك ، فالانغام مع الذكر مستحبة ، لأن ماثبت للمقاصد يثبت للوسائل

بقى علينا أن نذكر دليل ما أخذوا عليه أنفسهم من ذكر الاسم المفرد فان بعض المتأخرين اعترض عليهم فى ذلك مستندا الى فتوى صدرت من عز الدين ابن عبد السلام بناها على أن الذكر بالاسم المفرد بدعة وأنه ليس بجملة بخلاف سائر الأذكار فانها مشتملة على كلام مفيد مثل

الحمد لله ولا إله الا الله ونحو ذلك مع أن ادعاءه بدعية الذكر بالاسم المفرد ممنوع لأن الشارع لما أمر بالذكر لم يخص نوعا دون نوع ألا ترى الى قوله ﷺ فى الحديث السابق أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون وقوله فى الحديث القدسى أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه اذا ذكرنى ونحوهما من الاحاديث فلو احتيج فى كل ذكر بخصوصه الى نقل عن الشارع والا كان بدعة لزم على ذلك أن يكون كثير من الاذكار بدعة وقد رأيت كلاما لمولانا الوالد رد به فتوى العز ابن عبد السلام أحببت أن أختم به هذا الفصل تتميما للفائدة قال رضى الله عنه : مانقله الحطاب آخر باب الردة من شرحه لمختصر خليل من أن عزالدين ابن عبد السلام سئل عمن يذكر بصيغة الله الله مقتصراً على ذلك هل هو مثل سبحان الله والحمد لله فأجاب بقوله هذه بدعة لم تنقل عن رسول الله ﷺ ولا عن أحد من السلف . الخ ... مردود من وجوه (أولها) ماورد فى صحيح مسلم من قوله عليه الصلاة السلام لاتقوم الساعة حتى لا يبقى على الأرض من يقول الله الله ، وفى رواية له حتى لا يقول أحد الله الله فان هذا الحديث شاهد لذكره وتكراره كما ترى لاسيما على رواية النصب وقد رد جماعة من المحققين به على ابن عبد السلام منهم سيدى عبد القادر الفاسى والعارف الشعرانى وابن عبد السلام بنانى فى جماعة يطول ذكرهم (ثانيها) أنا لانسلم أن الذكر لايكون إلا جملة فقد قال تعالى ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها بناء على أن المراد بالذكر الدعاء

والتسمية [١] (ثالثها) أنا وإن سلمنا أن الذكر إنما يكون جملة فقول الذاكر الله الله . جملة تقديراً اذ معناه يا ألله والله أعظم أو أكبر أو نحو ذلك وحذف النداء مع غير المندوب والمضمر والمستغاث جائز اتفاقا كما فى الألفية (رابعها) ماورد فى بعض الأحاديث من أن العبد اذا قال الله يشهد له كل من يسمعه ذكره ابن زكرى والعهدة عليه [٢] (خامسها) تواطؤ السادات الصوفيــة على ذكره والاستهتار به سلفهم وخلفهم وهم من الصديقين وقد قالوا اذا اختلفت أقاويل العلماء فعليك بما قاله الصديقون منهم لمزيد نورهم وكمال عرفانهم وقربهم من الله ورسوله والسادات الصوفية لاخلاف عندهم فى ذكره بل لا يصح عندهم الفتح والسير فى المقامات إلا بواسطته ولهم فيه تآليف وترتيبات على حسب الأحوال والمقامات قال العارف المحقق شهاب الدين أحمد الغزالى مادمت ملتفتا إلى ماسوى الله فلا بد لك من النفى والاثبات بلا إله إلا الله وما دمت تعتمد على رياسة العلم والجاه فلا بد لك من النفى والاثبات بلا إله إلا الله وما دمت ترى فى الوجود سواه فلا بد من لا إله إلا الله فاذا غبت فى الكل عن الكل استوحشت من نفى لا إله ووقفت على

---

(١) وعلى هـذا درج صاحب الكشاف فى سورة الاسراء فى تفسير قوله تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن الآية اه عبد الله محمد الصديق

(٢) أشار بهـذه العبارة إلى أن فى هـذا الحديث بهذا اللفظ نظرا وهو كذلك فان المعروف أن الحديث وارد فى الأذان كما فى الموطأ وصحيح البخارى اه عبد الله محمد الصديق

اثبات إلا الله . قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون اه

وقال العارف الشعرانى فى المنن ومما من الله به على مواظبتى أول دخولى لطريق القوم على ذكر الله بلفظ الجلاله أربعا وعشرين ألف مرة فى كل يوم وليلة على عدد الانفاس الواقعة فى الليل والنهار ليكون حكمى إن شاء الله حكم من لم يغفل عن الله نفسا واحدا ثم قال قال الشيخ محيي الدين وينبغى لمن يذكر الله بالجلالة أن يحقق الهمزة ويسكن الهاء ، فان فتح الهاء وأسقط الهمزة ووصل الهاء باللام المدغمة كأن تلفظ بها كتلفظه بكلمة هلا فلا يفتح عليه بشيء لأنه تعالى ماهو مسمى بذلك الاسم ثم قال وصورة الذكر بالجلالة أن يقول الله . الله حتى ينقطع نفسه اه وذكر أبو على الدقاق أن رجلا كان يقول الله الله دائما فأصاب حجر رأسه فقطر منه الدم وكتب على الأرض الله الله وبقى النورى فى منزله سبعة أيام لم يأكل ولم يشرب ولم ينم وهو يقول الله الله الله فأعلم الجنيد بذلك فقال انظروا أمحفوظة عليه أوقاته فقالوا له انه يصلى الفرائض فقال الحمد لله الذى لم يجعل للشيطان عليه سبيلا وسئل الشبلى لم تقول الله الله ولا تقول لا إله الا الله فقال لاأبغى له ضدا فقال السائل أريد أعلى من هذا فقال أخشى أن أوخذ بين وحشة النفى والاثبات فقال أريد أعلى من هذا فقال قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون فزعق السائل ومات فتعلق أولياؤه بالشبلى فقال لهم روح دعيت فسمعت فلبت وأجابت فما ذنبى فقال الخليفة خلوا سبيله لاذنب له قال العارف أبو الوفاء . وتعليل هذا المذهب أن نفى الشيء انما يحتاج اليه عند حضور

ذلك الشيء بالبال فمن لا يخطر بباله شريك لا يكلف نفي الشريك والكامل لا يخطر بباله ولا بخياله الا الله فيكفيه أن يقول الله الله اه وقال القطب الشيخ أبو العباس المرسى رضى الله عنه ليكن ذكرك الله الله فان هذا الاسم سلطان الاسماء وله بساط وثمرة فبساطه العلم وثمرته النور وليس النور مقصودا لذاته بل لما يقع به من الكشف والعيان فينبغى الاكثار من ذكره واختياره على سائر الاذكار لتضمنه لجميع مافى لا اله الا الله من العقائد والعلوم والآداب والحقوق فانه يأتى فى «الله» وفى «هو» مالا يأتى فى غيرهما من الاذكار اه قال الشيخ زروق ولهذا اختاره المشايخ ورجحوه على سائر الاذكار وجعلوا له خلوات ووصلوا به الى أعلى المقامات والولايات وان كان منهم من اختار فى الابتداء لا اله الا الله وفى الانتهاء الله الله اه وقال ابن حجر فى الفتاوى الحديثية ذكر لا اله الا الله أفضل من ذكر الجلالة مطلقا بلسان أهل الظاهر وأما عند أهل الباطن فالحال عندهم يختلف باختلاف حال السالك فمن هو فى ابتداء أمره ومقاساة شهود الاغيار وعدم انفكاكه عن التعلق بها يحتاج الى النفى والاثبات حتى يستولى عليه سلطان الذكر فاذا استولى عليه فالأولى له لزوم الاثبات أعنى الله الله اه بخ

وقال الجنيد ذاكر هذا الاسم ذاهب عن نفسه متصل بربه قائم بأداء حقه ناظر اليه بقلبه قد أحرقت أنوار الشهود صفات بشريته اه بخ قال الشيخ محي الدين ومن أراد أن يفتح عليه بذكر هذا الاسم الشريف فليتخذ خلوة وليترك سائر الاذكار والاوراد غيره ولا يذكره من حيث

انه يدل على المين فقط بل لابد أن يستحضر أنه يذكر من لا تحصره الأكوان ومن له الوجود المطلق التام فبهذا الاستحضار تحصل الثمرة التي هي النور الذي يقع به الشهود والعيان وهذا الاستحضار هو المعبر عنه بالبساط اه وفي صلاة القطب مولانا عبد السلام الله الله الله ثلاث مرات أفيجترىء أحد أن يفوه في ذلك بعيب أو طعن وريب ، كلا وكيف وأصول الشريعة لاتأباه ولا تدل على خروجه من ذكر الله لا لفظا ولا معنى،إلى غير هذامن نصوص أولياء الله الدالة على استحباب ذكره قال شيخ الشيوخ سيدي عبد القادر الفاسي بعدكلام في هذا المعنى ولا يخفى هذا على من له ممارسة باصطلاحهم فيكفينا التسليم والتصديق لما قصرت عنه مداركنا من مذاهبهم فاشدد يديك على تسليم ما فعلوا وظن خيراً ولا تعبأ بمن عذلا . إذ التصديق بطريقهم ولاية والاعتراض عليهم جناية قال وليس في كلام عز الدين تصريح بانكار أو بغيره بل غاية ماقال أنه لم ينقل عن السلف وكم من أشياء لم تنقل عن السلف وهي مشروعة إذ البدعة تنقسم إلى الأقسام الخمسة كما هو معلوم فلا ينبغي الانكار على من يذكرهذا الاسم الشريف ولا التوقف فيه اه كلام سيدي عبد القادر الفاسي وهو وحده كاف في رد كلام ابن عبد السلام (١) والله تعالى أعلم إلى هنا كلام مولانا الوالد رضي الله عنه وبه تم هذا الفصل والله الموفق

---

(١) إنما كان كلام الشيخ عبد القادر الفاسي وحده كافيا في رد كلام ابن عبد السلام لأنه أشار فيه بقوله : إذ البدعة تنقسم إلى الأقسام الخمسة كما هو معلوم ،

الفصل الخامس

فى بيان دليلهم فيما يفعلونه من الذكر عقب الأذان ومع الجنائز وفى السكك والأسواق

أما الذكر عقب الأذان. فدليله ما أخبرنى به العلامة العامل خطيب الزاوية الصديقية بطنجة المحروسة سيدى العربى بوعياد عن سيدنا ومولانا الوالد قدس الله روحه. أنه كان يقول : —
ان دليل الصوفية فى الذكر عقب الاذان. حديثان. أحدهما أخرجه أبو داود. والترمذى وحسنه عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ الدعاء لا يرد بين الأذان والاقامة ثانيهما الحديث القدسى الذى أوردته فى الفصل الثالث[1] ووجه الدلالة منهما ظاهر واضح.

إلى ما ذكره ابن عبدالسلام نفسه فى قواعده من أن البدعة تنقسم — بحسب اشتمالها على المصلحة والمفسدة أو خلوها عنهما — إلى أقسام الحكم الخمسة وبين ذلك بأمثلته أتم بيان وذكر ما يشهد له من قواعد الشريعة ووافقه على هذا الامام النووى وجمهور العلماء إلا من شذ منهم ممن لا يعتد به كصاحب الاعتصام وما أبعده عن معرفة قواعد الاحكام وما تنبنى عليه من المصالح والمفاسد رغم كتابه الموافقات وانما هو صاحب نحو ليس غير وحيث ان الامر على ما ذكره ابن عبد السلام فكيف ساغ له أن يرد الذكر بالاسم المفرد بمجرد كونه بدعة مع أنه — ان سلم خلوه عن المصلحة — فليس فيه مفسدة فيكون جائزا على حسب أصله ذلك من تقسيم البدعة الذي استقر عليه عمل الامة طبقة بعد طبقة بحيث صار إجماعا عمليا مستمرا

وأما الذكر مع الجنائز. فانه لما غلبت الغفلة على الناس وقست قلوبهم وصاروا يمشون مع الجنائز يشيعونها وهم يغتابون الناس ويتكلمون بلغو الكلام استحب الصوفية الذكر مع الجنائز ليشتغل به الناس عن هذا الفعل القبيح الذى يتأذى به الميت حتى يدخل قبره. كما ثبت عن ابن عمر رضى الله عنهما فيما أخرجه أحمد فى المسند عن أبى الربيع قال كنت مع ابن عمر فى جنازة فسمع صوت انسان يصيح. فبعث اليه فأسكته. فقلت له لم أسكته ياأبا عبد الرحمن. فقال أنه يتأذى به الميت حتى يدخل قبره

فهذا ابن عمر يخبر أن الميت يتأذى بمجرد الصياح. ولم يكن ذلك الصياح نياحة. إذ لو كان نياحة لما خفى على التابعى أمرها حتى سأل عنها. إذ تحريمها كان مشهورا لديهم.

وإذا كان الميت يتأذى بالنياحة فلأنه يتأذى بالغيبة ولغو الكلام. أولى لعظم ضررهما وحيث ثبت أن الميت يتأذى بما ذكرنا. فلا يخفى أن إذاية المؤمن محرمة شرعا. وفيها اثم مبين. ووزر عظيم. كما قال تعالى (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا).

فكأن الشيخ عبد القادر الفاسى بكلامه المتقدم يشير إلى رد كلام ابن عبد السلام بنفس كلام ابن عبد السلام على طريقة الالزام ولذا كان وحده كافيا فى رده اه عبد الله محمد الصديق

(١) وهو حديث « من شغله قراءة القرآن وذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ماأعطى السائلين»

وقد ثبت فى السنة أن حرمة المؤمن ميتا كحرمته حيا . واذا كان كذلك فالذكر مع الجنائز مستحب فى هذا العصر . لما فيه من دفع الاذى الذى يلحق الاموات عند عدمه

والعجب من بعض أهل هذا العصر ينكرون الذكر مع الجنائز مع مافيه من المصلحة التى بيناها . ويستحسنون قراءة القرآن جهرا بصوت واحد من جماعة يوم الجمعة قبل الصلاة . مع أنه لا فرق بين الذكر مع الجنائز وبين مايستحسنونه من حيث ان كلا منهما لم يكن فى عصره عليه الصلاة والسلام . فما بالهم ينكرون هذا ويستحسنون ذاك من غير دليل ولا برهان .

فان قيل قد ثبت الترغيب فى الاجتماع على القرآن فى المساجد ؟ قلنا نعم . كما أنه ثبت الترغيب أيضا فى الجهر بالذكر فى الأسواق والسكك فمن أين أتوا بهذا التفريق العجيب . وما كان الصحابة رضى الله عنهم يقرأون القرآن يوم الجمعة قبل الصلاة على الصفة التى يفعلها أهل هذا العصر . لم يثبت أنهم فعلوا ذلك أصلا . كما أنهم ما كانوا يذكرون مع الجنائز جهرا بل كانوا اذا شيعوا الجنازة لم يتكلموا بكلام ما . وانما يتفكرون فيما يصير اليه الميت وفيما يلقاه من الأهوال والأعمال . كما أخرجه أبو نعيم فى الحلية فى ترجمة ابراهيم النخعى قال : كنا اذا حضرنا الجنازة أو سمعنا بميت عرف فينا أياما . لانا قد عرفنا أنه قد نزل به أمر صيره الى الجنة أو الى النار . قال وانكم فى جنائزكم تتحدثون بأحاديث دنياكم فلو كان الناس فى هذا العصر يفعلون مثل فعلهم لكان السكوت

مستحبا . ولكن لا يستقيم لهم ذلك فى هذا العصر المظلم والله أعلم .

وأما الذكر فى الاسواق وفى السكك . فدليله ما أخرجه الحاكم عن عمر رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال من دخل السوق فنادى لا إله الا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير . كتب الله له ألف ألف حسنة . ومحا عنه ألف ألف سيئة . ورفع له ألف ألف درجة . وبنى له بيتا فى الجنة

وأخرج أحمد . وأبو داود . والترمذى وصححه عن السائب أن رسول الله ﷺ قال : جاءنى جبريل فقال مر أصحابك يرفعوا أصواتهم بالتكبير .

وقد جمع الحافظ السيوطى ماورد من الاحاديث المتعلقة بهذا الموضوع فى جزء سماه (نتيجة الفكر فى الجهر بالذكر) وهو مطبوع . والله أعلم .

الفصل السادس

فى بيان دليلهم فيما يفعلونه من الذكر على الميت قبل دفنه وقراءة يس

أخرج مسلم وغيره عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يقعد قوم يذكرون الله تعالى الا حفتهم الملائكة وغشيتهم السكينة .

وأخرج البزار عن أنس رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال ان لله سيارة من الملائكة يطلبون حلق الذكر . فاذا أتوا عليهم حفوا بهم .

فيقول الله تعالى غشوهم برحمتى فهم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم .

واخرج احمد فى الزهد عن ثابت قال كان سلمان رضى الله عنه فى عصابة يذكرون الله . فمر النبى ﷺ فقال ما كنتم تقولون . قلنا نذكر. قال انى رأيت الرحمة تنزل عليكم فاحببت ان اشارككم فيها .

ففى هذه الأحاديث دلالة واضحة على انتفاع الميت بما يفعله الصوفية من الذكر عليه قبل دفنه .

واخرج احمد . وابو داود . وصححه ابن حبان عن معقل بن يسار رضى الله عنه قال يس قلب القرآن . لا يقرأها رجل يريد الله والدار الآخرة الا غفر له واقرأوها على موتاكم .

ولفظ الحديث نص فى الأموات وتناوله للحى المحتضر مجاز لا يصار اليه الا بقرينة . والله أعلم .

الفصل السابع

فى بيان دليلهم فيما يفعلونه من الذكر والأكل فى المسجد

اخرج مسلم عن أنس رضى الله عنه قال بينما نحن فى المسجد مع رسول الله ﷺ اذ جاء أعرابى فقام يبول فى المسجد وذكر الحديث . الى أن قال : —

ثم ان رسول الله ﷺ دعاه (يعنى الاعرابى) ثم قال ان هذه المساجد لا تصلح لشىء من هذا البول ولا القذر . انما هى لذكر الله والصلاة وقراءة القرآن .

واخرج ابن ماجه عن عبد الله بن الحارث رضى الله عنه قال كنا نأكل على عهد رسول الله ﷺ فى المسجد الخبز واللحم .

وأخرج البخارى وغيره عن ابن عمر رضى الله عنهما انه كان ينام وهو شاب عزب لا أهل له فى مسجد رسول الله ﷺ .

قال البخارى وقال ابو قلابة عن أنس قدم رهط من عكل على رسول الله ﷺ فكانوا فى الصفة .

وقال قال عبد الرحمن بن أبى بكر كان اصحاب الصفة الفقراء والله أعلم

الفصل الثامن

فى بيان دليلهم فيما يفعلونه من الجمع بين العشاءين جمع تأخير من غير مطر فى بعض الأحيان

أخرج مسلم وأصحاب السنن عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ جمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء بالمدينة من غير خوف ولا مطر .

قيل لابن عباس ما أراد بذلك . قال أراد أن لا يحرج أمته .

وفى رواية لمسلم من طريق عبد الله بن شقيق قال خطبنا ابن عباس يوما حتى بدت النجوم وجعل الناس يقولون الصلاة الصلاة قال فجاء رجل من بنى تميم لا يفتر ولا ينثنى الصلاة الصلاة فقال ابن عباس اتعلمنى بالسنة . لا أم لك . ثم قال رأيت رسول الله ﷺ جمع بين

الظهر والعصر والمغرب والعشاء قال عبد الله بن شقيق : فحاك في صدري من ذلك شيء فأتيت أبا هريرة فسألته . فصدق مقالته .

قال النووي في شرح مسلم . هذه الروايات الثابتة في مسلم كما تراها وللعلماء فيها تأويلات ومذاهب . ثم حكى المذاهب وقال وذهب جماعة من الأئمة الى جواز الجمع في الحضر للحاجة لمن لا يتخذه عادة وهو قول ابن سيرين واشهب من أصحاب مالك . وحكاه الخطابي عن القفال . والشاشي الكبير من أصحاب الشافعي . واختاره ابن المنذر . ويؤيده ظاهر قول ابن عباس أراد أن لا يحرج أمته فلم يعلله بمرض ولا غيره . انتهى .

والفقراء في هذا العصر لا يواظبون على الجمع بين العشاءين وانما يفعلونه في بعض الاحيان اذا طال بهم مجلس الذكر . والله أعلم

الفصل التاسع

في بيان دليلهم فيما يفعلونه من التبرك بآثار المشايخ والصالحين

أخرج مسلم عن أنس رضى الله أن رسول الله ﷺ لما رمى الجمرة ونحر نسكه . ناول الحلاق شقه الأيمن فحلقه ثم دعا اباطلحة الانصارى فاعطاه اياه . ثم ناوله الشق الأيسر فقال احلقه فحلقه فاعطاه أبا طلحة الانصارى وقال اقسمه بين الناس .

وأخرج أحمد عن عبد الله بن يزيد أنه شهد رسول الله ﷺ عند المنحر ورجل من قريش وهو يقسم الاضاحى فلم يصبه شيء ولا صاحبه

فحلق رسول الله ﷺ رأسه فى ثوبه فأعطاه منه وقسم منه على رجال وقلم أظفاره فأعطى صاحبه

وأخرج البخارى عن عثمان بن عبد الله بن موهب قال أرسلنى أهلى إلى أم سلمة بقدح من ماء فجاءت بجلجل من فضة فيه شعر من شعر رسول الله ﷺ فكان اذا أصاب الانسان عين أو شىء بعث اليها باناء فخضخضت له فشرب منه .

وفى صلح الحديبية من رواية المسور بن مخرمة ماتنخم رسول الله ﷺ نخامة الا وقعت فى كف رجل فدلك بها وجهه وجلده واذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه وهو بكماله لأحمد والبخارى.

وذكر القسطلانى فى المواهب أن أبا بكر ابن الانبارى روى أنه لما أنشد كعب بن زهير قصيدته المشهورة فى مدح رسول الله ﷺ ووصل الى قوله : —

ان الرسول لنور يستضاء به

رمى عليه الصلاة والسلاة اليه بردة كانت عليه . وأن معاوية بذل له فيها عشرة آلاف فقال ما كنت لأوثر ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحداً فلما مات كعب بعث معاوية الى ورثته بعشرين ألفا . فأخذهامنهم

قال وهى البردة التى عند السلاطين الى اليوم . انتهى كلام ابن الانبارى .

وذكر ابن الأثير فى تاريخه ماذكره ابن الانبارى .

وقال ابن خلدون ووفد على النبي ﷺ كعب بن زهير واهدر دمه وضاقت به الأرض وجاء فاسلم وأنشد النبي ﷺ قصيدته المعروفة بمدحه وأعطاه بردة فى ثواب مدحه فاشتراها معاوية من ورثته بعد موته : وصار الخلفاء يتوارثونها شعاراً انتهى .

وقد أخرج ابن الجوزى فى الثالث والتسعين من مناقب الامام أحمد بسنده الى الربيع تلميذ الشافعى رضى الله عنه قال قال لى الشافعى ياربيع خذ كتابى وامض به وسلمه الى أبى عبد الله أحمد بن حنبل وائتنى بالجواب .

قال الربيع فدخلت بغداد ولقيت أحمد بن حنبل صلاة الصبح فصليت معه الصبح . فلما انفتل من المحراب سلمت اليه الكتاب وقلت له هذا كتاب أخيك الشافعى من مصر . فقال أحمد نظرت فيه . قلت لا . وكسر أحمد الخاتم وقرأ الكتاب وتغرغرت عيناه بالدموع . فقلت له أى شىء فيه ياأبا عبد الله . فقال يذكر أنه رأى النبى ﷺ فى المنام . فقال له اكتب إلى أبى عبد الله أحمد بن حنبل واقرأ عليه منى السلام وقل انك ستمتحن وتدعى إلى خلق القرآن فلا تجبهم يرفع الله لك علما الى يوم القيامة . قال الربيع فقلت البشارة فخلع قميصه الذى يلى جلده فدفعه الى فأخذته وخرجت الى مصر . فقال لى الشافعى ياربيع أى شىء الذى دفع اليك . قلت القميص الذى يلى جلده . فقال لى ليس نفجعك به ولكن اغسله وجئنا بمائه . قال فغسلته فحملت ماءه اليه فتركه فى قنينة وكنت أراه فى كل يوم يأخذ منه يمسح على وجهه تبركا بأحمد بن حنبل . والله أعلم .

الفصل العاشر

فى دليل السبحة

أخرج الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ من قال سبحان الله وبحمده فى يوم مائة مرة حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر .

فى هذا الحديث دليل على أن فى الاذكار مايعتبر فيه الحصر والعد وكذلك فى الأحاديث التى قدمناها فى الفصل الأول فيها دليل على ما ذكرنا . والسبحة وسيلة إلى ضبط العدد الذى ورد الترغيب فيه وقد أخرج عبد الله بن أحمد فى زوائد الزهد . وأبو نعيم فى الحلية من طريق نعيم بن المحرر بن أبى هريرة عن جده أبى هريرة أنه كان له خيط فيه ألفا عقدة فلا ينام حتى يسبح به .

وأخرج أحمد فى الزهد عن القاسم بن عبد الرحمن قال كان لأبى الدرداء نوى من نوى العجوة فى كيس فكان اذا صلى الغداة أخرجهن واحدة واحدة يسبح بهن حتى ينفدن .

وأخرج بن أبى شيبة عن أبى سعيدالخدرى أنه كان يسبح بالحصى فهؤلاء ثلاثة من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يقولون باستحباب السبحة وفيهم اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وقد عمل الأئمة المجتهدون بأقوال الصحابة فى الحلال والحرام . بل عملوا بأقوال التابعين كما يعلم من الموطأ لمالك والأم للشافعى . وكتب أبى حنيفة

كتاب الآثار لمحمد بن الحسن ونحوه . والله أعلم .

الفصل الحادى عشر

فى دليل اتخاذ العصا

أخرج ابن ماجه عن أبى امامة رضى الله عنه قال خرج علينا رسول الله ﷺ وهو متوكىء على عصا .

وأخرج البزار . والطبرانى . بسند ضعيف عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ان أتخذ عصا فقد اتخذها أبى ابراهيم .

وأخرج ابو نعيم فى الحلية فى ترجمة عمير بن سعد وكان من زهاد الصحابة رضى الله عنه أن عمر رضى الله عنه قال له حين قدم من حمص مامعك (يعنى من الدنيا) فقال معى جرابى أجعل فيه زادى وقصعتى آكل فيها رأسى وثيابى وعنزتى أتوكأ عليها وأجاهد بها عدوا ان عرض. فوالله فيها وأغسل ما الدنيا الا تبع لمتاعى .

(العنزة) : عصا فيها زج من حديد . والله أعلم .

الخاتمة

فيما ورد فى الابدال

أخرج أحمد فى مسنده عن شريح بن عبيد قال ذكر أهل الشام عند على بن أبى طالب صلوات الله عليه فقالوا العنهم يا أمير المؤمنين . قال لا . سمعت رسول الله ﷺ يقول الابدال بالشام وهم أربعون رجلا

كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا يسقى بهم الغيث وينتصر بهم على الأعداء ويصرف عن أهل الشام بهم العذاب .

قال الحافظ السيوطى رجاله رجال الصحيح غير شريح وهو ثقة

وأخرج الحاكم وصححه وأقره الذهبى عن عبد الله بن زرير الغافقى انه سمع على بن أبى طالب يقول لا تسبوا أهل الشام فان فيهم الابدال وسبوا ظلمتهم .

وأخرج ابن عساكر عن عياش بن عباس القتبانى ان على بن أبى طالب قال الابدال من أهل الشام . والنجباء من أهل مصر . والأخيار من أهل العراق .

واخرج أحمد فى المسند عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال الابدال فى هذه الأمة ثلاثون مثل ابراهيم خليل الرحمن كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا آخر قال الحافظ السيوطى ورجاله رجال الصحيح .

وأخرج الطبرانى فى الأوسط عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ لن تخلو الأرض من أربعين رجلا فبهم تسقون وبهم تنصرون . ما مات رجل إلا أبدل الله مكانه آخر .

قال قتادة لسنا نشك أن الحسن منهم .

قال الهيثمى فى مجمع الزوائد اسناده حسن .

وأخرج الطبرانى . وابو نعيم فى الحلية . وابن عساكر عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ خيار أمتى فى كل قرن خمسمائة .

والابدال أربعون . فلا الخمسمائة ينتقصون ولا الأربعون كلما مات رجل أبدل من الخمسمائة مكانه . وأدخل فى الأربعين : قالوا يارسول الله دلنا على أعمالهم قال يعفون عمن ظلمهم ويحسنون الى من أساء اليهم ويتواسون فيما آتاهم الله عز وجل .

وأخرج الطبرانى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ لايزال أربعون رجلا من أمتى قلوبهم على قلب ابراهيم عليه السلام يدفع الله بهم عن أهل الارض يقال لهم الابدال انهم لم يدركوها بصلاة ولا صوم ولا بصدقة . قالوا يارسول الله فبم ادركوها . قال بالسخاء والنصيحة للمسلمين .

وورد فى حديث آخر عند البيهقى ان ابدال أمتى لم يدخلوا الجنة بالاعمال ولكن دخلوها برحمة الله وسخاوة الانفس وسلامة الصدور والرحمة بجميع المسلمين

وأخرج الشيخان عن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رجل للنبى ﷺ كيف ترى فى رجل أحب قوما ولم يلحق بهم . فقال رسول الله ﷺ المرء مع من أحب

وأخرج الطبرانى فى الاوسط باسناد حسن عن حذيفة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ من تشبه بقوم فهو منهم .

والحمد لله رب العالمين

قال مؤلفه محمد الزمزمى بن محمد بن الصديق غفر الله له وكان الفراغ من جمعه فى آخر يوم من شعبان سنة ١٣٥٥ ه

ولما اطلع على هذه الرسالة فضيلة الاستاذ العالم الجليل الشيخ العربي بوعياد خطيب الزاوية الصديقية بطنجة جادت قريحته الوقادة بهذا التقريظ النفيس :

الحمد لله الذي أنعم على من اصطفاه من عباده بكرامة الايمان . وتمم على من اجتباه لحضرته نعمة الاحسان . فحصل بها على الشهود والعيان . واشهد أن لا إله إلا الله الواحد الذي كان ولا شيء معه وهو الآن على ماعليه كان . وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله منبع الاسرار والعرفان ومعدن الحقيقة التي خص بها من شاء من أمته فصدقهم من سبقت له السعادة وكذب من كتب عليه الخذلان . صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الذين ورثوا عنه علمي الظاهر والباطن فباحوا بالشريعة وكتموا الحقيقة إلا عن أهلها أي كتمان . أما بعد فلما اطلعت على الرسالة الموضوعة في تأييد طريقة القوم . وما حوته من الادلة الصحيحة التي لم يبق معها انكار ولالوم . لجامعها العارف بالله العالم العلامة العامل . المحدث الصوفي السني الورع الكامل . سلالة العارفين الاولياء . وفرع شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء . سيدي محمد الزمزمي ابن الانسان الكامل شيخنا وحبيبنا سيدنا محمد بن الصديق الشريف الحسني الشاذلي الذي قامت على رسوخه في المعرفة بالله البراهين والحجج . ويعجز الواصف عن جزئيات كمالاته وماذا عسى أن يقول سوى حدث عن البحر ولا حرج . قدس الله روحه ونور بأنوار الكرامات مزاره وضريحه وأعاد علينا من بركته . وأماتنا على محبته . آمين . وجدتها رسالة مع صغرها

جامعة عجيبة الترتيب بديعة المبنى . سهلة التناول مفيدة فائدة يحسن السكوت عليها لاشتمالها على تمام المعنى تضمنت عيون المسائل ومسائل العيون . فجديرة بأن تكتب بماء الذهب بل بسواد العيون . وكيف لا وموضوعها علم أطبقت الأمم على تشريفه . واختلفت العبارات لعلو شأنه فى حده وتعريفه . وناهيك بعلم يدل على تصفية الاعمال حتى يأخذ المتحقق به من كل عمل لبه . ويبحث عن معرفة النفس ودسائسها ومن عرف نفسه فقد عرف ربه . ولعظم قدره كان وجوده أعز من الكبريت الاحمر . وتأخر عن دخول ميدانه جل بنى الاسود والاحمر . وذهب الناس فيه مذاهب . منهم من اعترف به وسلك طريقه فنال علو المراتب ومنهم من جحده وانكره . ومنهم من اعترف به لكن لمن تقدمه دون من عاصره . ومن هذه الطائفة نشأ جل الانكار على أهل الطريق فنسبوهم الى الابتداع . وعليهم رد من ألف فى هذا الموضوع من العلماء وبين بالادلة الصحيحة أن طريقتهم طريقة اقتداء بالرسول واتباع . ومن أجلهم مؤلف هذه الرسالة اللطيفة التى بين فيها رضى الله عنه مستند عوائدهم أتم بيان ورفع اللبس عن شعائرهم وأماط الخمار عن وجه حقيتها حتى رؤى بالعيان واستدل على جل مهمات أحوالهم بدليل شرعى صحيح كما تراه . أو قول عالم معتبر حكمه فيما حكم به وأمضاه . وحينئذ فلم يبق بعد هذا لمن وقف عليها وتأملها بالانصاف . الا التسليم والاقرار بالفضل لأهل الطريق والاعتراف . وتحقق إذ ذاك أنه لا ينكر أحوالهم إلا جاهل بالسنة وأسرارها . أو عالم راض عن نفسه قد غرق فى محبة الدنيا وأغيارها .

والعجب ممن ينكر أحوال القوم رضي الله عنهم وهو يسمع أو يرى من هو موجود فيها في كل زمان من خواص العلماء الراسخين في العلم والتحقيق . ممن لا يكون المعترض قطرة من بحرهم العميق . إذ ما من طبقة مضت من الصوفية من لدن عصر التابعين إلى وقتنا الا وتجدها ملآى با كابر العلماء . ومشاهير الصلحاء . أليس ذلك دليلا قاطعا على أن طريقتهم طريقة حق وسنة واعتبار . إذ من المحال أن تكون على غير السنة وينتظم في سلكها خواص العلماء الأبرار . وبالجملة فما كتبه هذا العالم الجليل في هذه الرسالة اللطيفة فيه كفاية لكل منصف . ومقنع لمن هو باتباع الحق متصف . والموفق قليل الوعظ يكفيه . والمخذول لا يرتوى ولو سقيته من ماء البحر بما فيه . والله المسؤل أن ينفع بها كمؤلفها كافة الأمة . ويزيل بها عن صدور المؤمنين كل غمة . وأن يجعلها لأهل الانتقاد في الرجوع سببا حتى يلحقوا بأهل الطريق نسبا . وأن يجزل لمؤلفها الثواب . بلا عد ولا حساب وأن تجعلنا يا مولانا من المحبين لهذه الطريقة العلية . وأن تحشرنا في زمرتهم تحت لواء خير البرية . وأن تغفر لنا ولوالدينا ولأشياخنا ولجميع اخواننا المسلمين . والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله والحمد لله رب العالمين ؟

وكتبه عبد ربه خادم الأعتاب الصديقية
والمنتظم بالفضل في سلك طريقتها النورانية
الراجي من مولاه الغفران يوم التناد
العربي بن العربي بوعياد

﴿ بيان الخطأ والصواب فى كتاب الانتصار ﴾

ص	س	الخطـــــأ	الصواب
٨	٥	آذنته	آذنته بالحرب
١٠	٩	معنى	معى
١١	٨	فلنكتشف	فلنكتف
١٢	١٢	وتعميد	وتعمير
١٢	١٢	الحافظ فى	الحافظ السيوطى فى
١٣	١	بالباطن	بالباطل
١٥	١٤	نطلان	بطلان
١٥	١٥	تلبيس ابليس	تلبيس إبليس
٢٢	٣	إلا ورأيته	إلا رأيته
٣٢	١٩	بالذكر الدعاء	بالدعاء الذكر
٣٣	٢	يا الله والله	يا الله أو الله
٣٨	١٢	فلأنه	فلأن
٤٦	١٤	السجة	السبحة

ملحوظة : وقع فى ص ٤٧ هذه العبارة : وقصعتى آكل فيها رأسى وثيابى وعنزتى الخ وهو تحريف نشأ عن تقديم لبعض الكلمات وتأخير وصواب العبارة : وقصعتى آكل فيها وأغسل فيها رأسى وثيابى وعنزتى أتوكأ عليها وأجاهد بها عدواً ان عرض فوالله ما الدنيا إلا تبع لمتاعى ،